أسس المعاهدات بين المسلمين وغير المسلمين

المعاهدة النبوية مع اليهود وصلح الحديبية أنموذجان

مصطفى ابرواي



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بسم الله، الحمد لله، والصلاة والسلام على خير خلق الله، سيدِنا ونبينا وحبيبنا وقدوتنا؛ محمدِ بن عبد الله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد: فإن النبي ﷺ لم يكن في حياته يحبُّ الحروب أو يشتهيها، وإنما كان يجعلها آخر الدواء؛ ومن ثمَّ حَفِلَت حياته ﷺ بكل ما يمكن أن يمنع الحرب أو يخَفِّفَ وتيرتها، وكان من ذلك؛ المعاهدات والاتفاقيات. فقد عاهد الرسول ﷺ في فترة رسالته كلَّ الطوائفِ التي يمكن للمسلمين أن يُعاهدوها مستقبلا؛ فقد عاهد ﷺ اليهود والنصارى والمشركين؛ حتى يُعَلِّمَنَا كيف تكون المعاهدات، وما أسُسها وأصولها؛ باعتباره أسوتنا وقدوتنا ﷺ ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ۝٢١﴾ [الأحزاب: 21].

ومن هنا وجب علينا أن ندرس معاهدات النبي ﷺ مع غير المسلمين ليَتَبَيَّن لنا وجهٌ جديد من أنصع وجوهِ السيرة النبوية (وكلها ناصع)، ولنقتديَ به ﷺ في كل أمور حياتنا كما أمرنا الله تعالى.[1]

ولأجل ما سبق آثرت كتابة هذه الورقات التي وُسمت ب: «**أسس المعاهدات بين المسلمين وغير المسلمين**». ووقفت فيها على معاهدتين اثنتين، الأولى: معاهدة النبي ﷺ مع يهود يثرب. والثانية: صلح الحديبية مع كفار قريش. وهما معاهدتان وعقدان من أنفس العقود وأحقها بالنظر والتقدير، ونبراسٍ للمسلمين في أصول العلاقات الدولية بينهم وبين مخالفيهم. وهذه المعاهدات بهذا الوصف، توضح لنا مدى التجني على سيرة رسول الله ﷺ؛ الذي قام به من شبه المعاهدات الحديثة في زماننا (مع اليهود مثلا) بالمعاهدات التي عقدها النبي ﷺ في زمانه، وشتان بين هذه وتلك!

---

1 عندما عاهد الرسول ﷺ لراغب السرجاني (ص:6).

- **خطة البحث:**

تشتمل خطة البحث على مقدمة وثلاثةِ مباحثَ وخاتمة.

أما المبحث الأول فعُني بالتعريف اللغوي والاصطلاحي للمعاهدات اختصارا، وتحته مطلبان.

في حين خُصص المبحث الثاني للحديث عن المعاهدة النبوية مع اليهود والفرق بينها وبين معاهدات اليوم، وتحته أيضا مطلبان.

وأما المبحث الثالث والأخير، فتحدثت فيه عن صلح الحديبية، والفرق بينها وبين معاهدات اليوم، وتحته كذلك مطلبان.

ثم ذيلت البحث بخاتمة ذكرت فيها إجمالا شروطَ وضوابط المعاهدات في الإسلام. وبعد الخاتمة لائحةُ المصادر والمراجع، ثم ختمته بفِهرس للموضوعات.

فاللهَ أسأل ألا يكون في هذه الورقات إيجازٌ مخل ولا إسهابٌ ممل، وما كان من توفيق فمن الله وحده، وما كان من خطأ أو زلل أو نسيان فمني ومن الشيطان، وعزائي في قول القاضي عبد الرحيم البيساني[1] إلى العماد الأصبهاني[2]: "إني رأيت أنه لا يكتب إنسانٌ كتابا في يومه إلا قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قُدِّم هذا لكان أفضل، ولو تُرك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر".[3]

مصطفى ابرواي

1 عبد الرحيم البيساني، المعروف بالقاضي الفاضل (616هـ -696هـ) أحد الأئمة الكتاب، ووزير السلطان صلاح الدين الأيوبي.

2 عماد الدين الكاتب (629هـ -695هـ) مؤرخ وأديب وشاعر عاصر الدولة النورية والأيوبية ودوّن أحداثهما، ولد في أصبهان وتوفي في دمشق.

3 أبجد العلوم لمحمد القِنَّوجي (ص: 61).

المبحث الأول: تعريف المعاهدات

المطلب الأول: المعاهدة لغة

العَهْدُ هو: الأَمَانُ، وَالْيَمِينُ، وَالمَوْثِقُ، وَالذِّمَّةُ، وَالحِفَاظُ، وَالوَصِيَّةُ. وَقَدْ عَهِدْتُ إِلَيْهِ أَيْ أَوْصَيْتُهُ. وَمِنْهُ اشْتُقَّ الْعَهْدُ الَّذِي يُكْتَبُ لِلْوُلاةِ. وَتَقُولُ: عَلَيَّ عَهْدُ اللهِ لأَفْعَلَنَّ كَذَا.[1]

وَالْعَهْدُ أَيضًا: الْوَفَاءُ، وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ﴾ [الأعراف: 102]، أي: من وفاء.[2]

المطلب الثاني: المعاهدة اصطلاحا

هي عقد العهد بين فريقين على شروط يلتزمونها، وهي موادعة المسلمين المشركين سنين معلومة.

وقال الكاساني: "الموادعة وهي المعاهدة، والصلح على ترك القتال، يُقال: توادع الفريقان أي تعاهدَا على أن لا يغزو كل واحد منهما صاحبه".[3]

وقال ابن قدامة: "ومعنى الهدنة أن يعقد لأهل الحرب عقدًا على ترك القتال مدة، بعوض وبغير عوض، وتسمى مهادنة وموادعة ومعاهدة".[4]

فالمعاهدات هي تلك الاتفاقات أو العهود أو المواثيق التي تعقدها الدولة الإسلامية مع غيرها من الدول في حالتي السلم والحرب، وتُسَمَّى المعاهدة في الحالة الأخيرة موادعة أو مصالحة أو مسالمة، ويُقَرَّرُ بمقتضاها الصلحُ على تَرْك الحرب، لقوله ﷻ: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنفال: 61].

---

1 الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري (515/2).

2 لسان العرب لابن منظور، مادة (عهد) (311/3).

3 بدائع الصنائع للكاساني (108/7).

4 المغني في الفقه لابن قدامة المقدسي (296/9).

المبحث الثاني: المعاهدة النبوية مع اليهود

من المعاهدات التي وُقعت بين الدولة الإسلامية وغيرها، ما عاهد عليه رسول الله ﷺ يهود المدينة عند قدومه إليها. ومن المهم جدا أن ندرس ظروفَ هذه المعاهدة وبنودَها؛ لكي نستطيع أن نقارن بين واقعنا الذي نعيشه الآن، وبين ما فعله رسول الله ﷺ.

عقد الرسول ﷺ هذه المعاهدة وحافظ عليها، وفي نفس الوقت هو الذي أجلى بني قينقاع، ثم بني النضير، وهو الذي قتل بعد ذلك رجال بني قريظة، ولنا فيه ﷺ أسوة حسنة في كل خطوات حياته، فلابد أن نعرف متى عاهد؟ ومتى حارب؟ ومتى قبِل من اليهود بعض البنود في المعاهدة؟ ومتى لم يقبل منهم أن يمكثوا في المدينة المنورة يوما واحدا؟ هذه أمور تحتاج منا إلى بحث دقيق.

المطلب الأول: بنود المعاهدة

1. إن يهود بني عوف أُمَّة مع المؤمنين، لليهود دينُهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم.[1]
2. وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم.
3. وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة.
4. وإن بينهم النُّصح والنصيحة، والبرَّ دون الإثم.
5. وإنه لا يأثم امرؤٌ بحليفه.
6. وإن النصر للمظلوم.
7. وإن اليهود يُنفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.
8. وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة.

[1] وهذا البند يوضح حقيقة قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البقرة: 256]. كما حدَّدت المعاهدة أسماء القبائل على اختلافها؛ وذلك لتُصبح ملزمة للجميع، فذكرت يهود بني النجار وبني الحارث وبني ساعدة وبني جُشم وبني ثعلبة.. وغيرهم.

9. وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مردَّه إلى الله ﷻ، وإلى محمد رسول الله ﷺ.[1]

10. وإنه لا تُجَارُ قريشٌ ولا مَنْ نَصَرَهَا.[2]

11. وإن بينهم النصر على من دهم يثرب.. على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قِبَلَهُمْ.

12. وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم.[3]

المطلب الثاني: الفرق بين المعاهدة النبوية مع اليهود وبين المعاهدات الحديثة معهم

الفرق شاسع جدا بين المعاهدة النبوية مع اليهود والمعاهدات الحديثة التي يروق لبعض المسلمين أن يشبهوها بمعاهدة الرسول ﷺ معهم! فمن المفارقات:

أولا: في معاهدة النبي ﷺ مع اليهود لم يخالف شرع الله ﷻ، ولم يقدم تنازلاً واحدا مخلاً بالدين، أما معاهدات اليوم؛ فقد أقر فيها المسلمون العدو على امتلاكه لأرض من أراضي المسلمين، وهذا إخلال واضح بالدين، وإخلال واضح في الشرع لا يُقبل أبدا في معاهدة إسلامية.

ثانيا: من مخالفة الشرع أيضا أن يُعقد الصلح في وقت تعين الجهاد؛ لأن من الأسباب التي تجعل الجهاد فرض عين: احتلال العدو للأرض الإسلامية، كاحتلال اليهود لأرض فلسطين الآن!

ثالثا: من مخالفة الشرع أيضا؛ الإقرار بالظلم، ومعاهدة الرسول ﷺ فيها أن النصر للمظلوم، فلا يجوز عقد معاهدة يكون من جرائها أن يُزج في السجون آلاف من المجاهدين، أو يكون من جرائها

---

1 فلو حصل خلاف بين المسلم وأخيه، أو حصل خلاف بين المسلمين واليهود، فالحكم لله ﷻ ولرسوله الكريم ﷺ، فانظر إلى مدى القوة، ومدى النصر والبأس الذي حققه النبي ﷺ بهذه المعاهدة، أبعد هذا كله يشبهون المعاهدات الحديثة بهذه المعاهدة التي عقدها رسول الله ﷺ مع اليهود؟!

2 وهذا بند خطير، لأنه لم يكن بين قريش واليهود خلافات، بل كانت العلاقات الدبلوماسية بينهم جيدة، فاليهود بهذه المعاهدة قرروا أن يقاطعوا قريشا؛ وصرح النبي ﷺ في المعاهدة باسم قريش؛ لئلا تقول اليهود في يوم من الأيام إن قريشا مستثناة من هذه المعاهدة، واعلم أن أي معاهدة مع اليهود لابد أن تكون كل كلمة فيها مكتوبة بمنتهى الوضوح.

3 سيرة ابن هشام (م:1 ص: 503 و 504).

إقصاء عدد هائل من المجاهدين عن الأرض الإسلامية، أو يكون من جرائها مصادرة الديار والأموال والأراضي وما إلى ذلك.

رابعا: أخذ الرسول ﷺ العهد على اليهود ألا يجيروا قريشًا القوة الأولى في الجزيرة في ذلك الوقت، لكن هل أمن المسلمون شر أعدائهم بهذه المعاهدات الحديثة؟ هل اشترط المسلمون على اليهود ألا يعاونوا عدوا يضرب بلدا من بلدان المسلمين؟ هل اشترطوا عليهم ألا يعاونوا أمريكا (مثلا) في ضرب العراق أو سوريا أو إيران أو السودان أو غيرها من بلاد العالم الإسلامي؟

خامسا: في معاهدة الرسول ﷺ كان الحَكم هو الله ﷻ ورسولُه الكريم ﷺ، وهذا مُصرح به في المعاهدة، ووقّع عليه اليهود، أما الآن فالمرد إلى الأمم المتحدة، أو قل إلى أمريكا، ثم من أعطى فلسطين لليهود؟ إنها الأمم المتحدة، هي التي أنشأت قرار التقسيم وأعطت جزءًا كبيرا جدا من فلسطين لليهود، وبعد ذلك أعطتها لهم كلها..!

فالواقع أن المعاهدات في العصر الحديث مختلفة اختلافا بينا حقيقيًا عن المعاهدة التي عقدها الرسول ﷺ، فلا وجه للمقارنة أبدا..!

المبحث الثالث: صلح الحديبية[1]

قبل الدخول في بنود الصلح بين المسلمين وقريش، نودُّ أن نقول: إذا قام فريقان بالصلح، فإن هذا يعني أن القوتين متكافئتان، وأنه إذا حرص القوي (في الظاهر) على الصلح مع الضعيف، فهو يرى أن الضعيف هذا أقوى منه، الأمر الذي يسهل عليه فيه أن يقدِّم له (القوي) كثيرًا من التنازلات، فعلى الضعفاء أن يثبتوا على موقفهم، وأن يعلموا أن الحق معهم ولهم، ويتيقنوا بعد ذلك أن الله ﷻ لن يخذلهم، وأن هذا مما يزلزل كيان الكافرين.

وفي تجسيد لهذا الدور فقد جلس القرشيون مع ما لهم من تاريخ وقوة وجنود وأحلاف، جلسوا مع الجماعة الضعيفة المستضعفة، تلك التي كانت تعيش عندهم، ثم هاجرت من ديارهم إلى المدينة المنورة، وقد جاءت تريد العُمْرة وهي بسلاح المسافر. جلس الفريقان ليبرموا صلحًا من أجل مصلحتهما معًا، ويلتقوا (كما يقولون) في منتصف الطريق.

المطلب الأول: بنود صلح الحديبية[2]

كانت معاهدة صلح الحديبية عبارة عن أربعة بنود، وهي:

البند الأول: رجوع الرسولِ ﷺ وأصحابِه من عامهم هذا، وعدم دخول مكة، وإذا كان العام القادم خرج منها أهلها ودخلها المسلمون بسلاح الراكب، وأقاموا بها ثلاثا، ولا تتعرض لهم قريش.

البند الثاني: وضع الحرب بين الطرفين عشر سنين يأمن فيها الناس، ويكف بعضهم عن بعض.

البند الثالث: من أحب أن يدخل في عقد محمد ﷺ وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه. وتعتبر القبيلة التي تنضم لأي الفريقين جزءا من هذا الفريق، أي

---

1 هذا تلخيص لما تطرق إليه الدكتور راغب السرجاني في سلسلة السيرة وبناء الأمة، الدرس 32 بعنوان: صلح الحديبية، بتصرف كثير.

2 إذا تأملنا بنود الصلح الأربعة؛ سنجد أنها في الغالب في صالح المسلمين على حساب قريش، ففيها فوائد جمة للمسلمين ومزايا عميقة لهم، أما الفائدة الوحيدة التي استفادت منها قريش في هذه المعاهدة الطويلة، هي نصف البند الرابع، أي ما يعادل ثمن المعاهدة، وهذا الثمن أيضا لا يخلو من فائدة كبيرة للمسلمين، ويكفي في وصف عظمة هذا الحدث أن الله ﷻ سماه بالفتح المبين ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ [الفتح: 1]، فالكثير من المفسرين يفسرون هذا الفتح المبين بأنه صلح الحديبية. وللتوسع أكثر انظر مقال: «وقفات مع بنود صلح الحديبية وتوثيقه» للدكتور راغب السرجاني على موقعه الشهير قصة الإسلام.

أن أي عدوان تتعرض له أيٌّ من القبائل يُعَدّ عدوانًا على ذلك الفريق التابعة هي له، ويعتبر في الوقت ذاته مخالفة واضحة للاتفاقية.

البند الرابع: من جاء قريشا ممن مع محمد ﷺ (أي هاربًا منه) لم يرد إليه، ومن أتى محمدًا ﷺ من غير إذن وليه (أي هاربا منه) يرده إليهم.

المطلب الثاني: مقارنة بين صلح الحديبية وبين معاهدات المسلمين اليوم مع اليهود

ما مضى يجعلنا نقف بعض الشيء ونراجع أنفسنا قليلا، ونحلل بعيدا عن العصبية معاهدة صلح الحديبية ونقارنها بمعاهدات المسلمين مع اليهود في زمان الناس هذا.

كما نعلم فإن أشهرَ هذه المعاهدات هي كامب ديفيد[1] وكانت البداية، ثم تلا ذلك معاهدات كثيرة لعل أشهرها معاهدة أوسلو[2]، وغيرهما مما حدث بين المسلمين واليهود.

ومن المفارقات بين معاهدات الأمس ومعاهدات اليوم:

أولا: النبي ﷺ لم يُقر المشركين على باطل، ولم يتنازل عن شيء من الدين، ولم يعط قريشا أرضًا ليست لهم، أو الاعتراف لهم بها. أما هذه المعاهدات فقد أُقر اليهود فيها على باطل، وهو امتلاكهم لأرض فلسطين أو لجزء منها، والتي كان المسلمون جميعُهم مقتنعين تمام الاقتناع أنها أرض إسلامية، أو على الأقل عربية (كما يقولون)، ثم بعد هذه المعاهدات أقر بعض المسلمين أن جزءا من أرض فلسطين لم يَعُدْ ملكا للمسلمين، وإنما صار ملكا لليهود!

ثانيا: النبي ﷺ لم يُقِرّ الصداقة مع العدو، وإنما وضع الحرب فقط مدة عشر سنوات على بقاء الحالة كما كانت عليه (حالة العداوة) بين المشركين والمسلمين،كما أن هذا الصلح لا يأمر المسلمين بتغيير المناهج أو الثوابت. أما معاهدات اليوم فقد قُلِب العداء بين المسلمين واليهود إلى

---

1 وقعها الرئيس المصري أنوار السادات ورئيس الوزراء الإسرائيلي مناحيم بيغن في 17 سبتمبر 1978.

2 اتفاق سلام وقعته إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية في مدينة واشنطن الأمريكية في 13 سبتمبر 1993.

صداقة وموالاة، وبالطبع كان لا بد أن يتبع هذا رفع عداوة اليهود من مناهج التعليم ومراكز الإعلام، فيخرج جيل من المسلمين لا يعرف عدوَّه من صديقه، وهو أمر غاية في الخطورة!

ثالثا: معاهدة النبي ﷺ كانت إلى أَجل، وهو عشر سنوات، وبعدها فبالإمكان أن نجلس معا ونتفاوض من جديد، فإذا أردنا أن نمدد الفترة مرة أخرى وإلا فلا، وليس هناك ما يسمى بسلام دائم! أما معاهدات اليوم لم يحدد المسلمون فترة زمنية معينة، وإنما تركت للسلام الدائم مهما حدث ومهما يحدث، وهذا أغرب من الخيال!

رابعا: المعاهدة تمت وكان للمسلمين قوةٌ تستطيع أن تردع العدو إذا خالف أيا من بنود المعاهدة، أما إذا كان المسلمون ضعافا ولم تكن لهم القوة الكافية للردع عند المخالفة، فلا معنى إذن للمعاهدة.

خامسا: معاهدة النبي ﷺ مع قريش لا تمنع المسلمين من عقد الأحلاف، أما معاهدات اليوم لم يعترف اليهود بالأحلاف التي بين المسلمين والدول الأخرى؛ ففي كامب ديفيد –مثلا– لم يعترف اليهود بمعاهدات مصر مع الدول الأخرى، ومعنى هذا أنه لو حدث وحاربت إسرائيل دولة أخرى من دول العالم الإسلامي فليس لمصر أن تعترض؛ وذلك لأن بنود المعاهدة تُقر بأنه ليس هناك حرب بين إسرائيل ومصر! وقد حدث بعد ذلك أن غزت إسرائيل لبنان بعد كامب ديفيد بسنوات قليلة جدا (في سنة 1982م)، ولم تستطع مصر أن تدافع عنها بجيشها، رغم ما كان من وجود معاهدة دفاع مشترك بين مصر ولبنان، كان قد أقرها ميثاق جامعة الدول العربية! وكان مرجع ذلك أن هذا العقد عُقد ولم يكن للمسلمين القوة الكافية للردع حال المخالفة.

سادسا: معاهدة النبي ﷺ مع اليهود واضحة البنود؛ إذ ليس فيها بند مبهم يُحمل على أكثر من محمل؛ وذلك حتى يضمن المسلمون كافة حقوقهم ودون خداع من الطرف الآخر. "وما أُصِيبت معاهدات الدول المتحضِّرة بالإخفاقِ والفشلِ والنَّكباتِ العالميَّةِ المتتابعة، إلاَّ عن طريقِ الغموض والالتواء في صَوْغِ المعاهداتِ وتحديدِ أهدافها، وفي التحذير من مثل هذه المعاهدات يقول الله

تعالى:﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [النحل: 94]، والدَّخَلُ هو الغشُّ الخفيُّ يدخل في الشيء فيُفسده". [1]

سابعا: الأخطر من كل ما سبق أن في هذه المعاهدة (كامب ديفيد) تم أول اعتراف بدولة إسرائيل كدولة مستقلة فوق أرض فلسطين، وذلك من قِبل دولة من أكبر دول المنطقة وهي مصر، وإن هذا ليُعَدّ من أكبر وأفضل إنجازات اليهود على مدى الخمسين سنة الأخيرة؛ إذ إنه قبل كامب ديفيد كان المسلمون جميعا يطلقون على اليهود مصطلح «الكيان الصهيوني أو المحتل»، أما بعد كامب ديفيد لم تَعُدْ إلا دولة إسرائيل، وقد أصبح لها سفارات في معظم دول العالم الإسلامي! ولا حول ولا قوة إلا بالله!

ثامنا: من المفارقات بين صلح الحديبية وكامب ديفيد أن نتائجَ كلٍّ منهما كانت مختلفة تماما عن الأخرى، فبعد كامب ديفيد واعتراف مصر بإسرائيل، تم فصل مصر تماما عن العالم العربي، ومقاطعتها من قِبل أشقائها، وحدث شقاق كبير في الصفِّ المسلم، أما بعد صلح الحديبية فقد حدث العكس تماما؛ فقد دخل مسلمو اليمن في الدولة الإسلامية، وعاد مسلمو الحبشة إليها أيضا، ثم بعد ذلك توافدت القبائل المسلمة، الأمر الذي حدث معه وَحْدةٌ وليس فُرقة.

يتبين إذا أن صلح الحديبية كان بالفعل يشبه كامب ديفيد! لكن كان ذلك بطريقة عكسية؛ وهذا يعني أن اليهود حققوا الفوائد التي حققها المسلمون من صلح الحديبية، أما المسلمون في زماننا فقد خسروا الخسائر التي خسرتها قريش فيها. ولا حول ولا قوة إلا بالله!

---

[1] الإسلام عقيدة وشريعة لمحمود شلتوت، (ص: 456 و 457).

خاتمة

ختاما نذكر إجمالا أهم أسس وضوابط المعاهدات بين المسلمين وغير المسلمين المستفادة من المعاهدتين السابقتين:

أولا: عدم مخالفة شرع الله، أو الإخلال بالدين، أو إقرار باطل أو ظلم، وقد جاء في ذلك قوله ﷺ: «كُلُّ شَرْطٍ لَيْسَ فِي كِتَابِ اللهِ فَهُوَ بَاطِلٌ»[1] ومعناه أنَّ كتابَ الله يرفضه ويأباه. ومن هذا الشرط لا يَعْتَرِفُ الإسلامُ بشرعية «معاهدةٍ» تُسْتَبَاحُ بها الشخصية الإسلامية، وتفتحُ للأعداء بابًا يُمَكِّنُهم من الإغارةِ على جهات إسلامية، أو يُضْعِف من شأن المسلمين، بتفريقِ صفوفِهم، وتمزيقِ وَحْدَتهم.[2]

ثانيا: أنْ تكونَ مبنيةً على التَّراضي من الجانبين؛ ومن هنا لا يرى الإسلام قيمةً لمعاهدة تنشأ على أساسٍ من القهر والغلبة وأزيز «النفَّاثات»، وهذا شرط تُمْلِيهِ طبيعة العقد، وإذا كان عقد التبادل في سلعة ما (بيعًا وشراءً) لا بُدَّ فيه من عنصرِ الرِّضا: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ﴾ [النساء: 29]، فكيف بالمعاهدة، وهي للأُمَّة عقدُ حياةٍ أو موتٍ؟![3]

ثالثا: أنْ تكونَ المعاهدةُ بيّنةَ الأهدافِ، واضحةَ المعالِمِ؛ تُحَدِّدُ الالتزامات والحقوق تحديدًا لا يَدَعُ مجالاً للتأويلِ والتَّخريجِ واللَّعِبِ بالألفاظ.

رابعا: عدم عقد صلح وقت تعين الجهاد.

خامسا: ألا تمنع المعاهدة من عقد الأحلاف.

سادسا: عدم إقرار الصداقة مع العدو.

سابعا: أن تكون المعاهدة إلى أجل مسمى.

---

1 البخاري (2060)، ومسلم، (1504)، وابن ماجه (2521) عن عائشة ﵂ واللفظ له.

2 الإسلام عقيدة وشريعة لمحمود شلتوت، (ص: 456 و 457).

3 المصدر نفسه.

ثامنا: لا يعقد الصلح إلا إذا كان للمسلمين قوة تستطيع أن تردع العدو حال المخالفة.

هذا حُكْمُ الله في المعاهدات التي تُوَقِّعُها الدولة الإسلامية مع غيرها من الدول لحفظ السلام، هذا هو الحق ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس: 32].

والحمد لله رب العالمين

﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾﴾
[غافر: 44].

لائحة المصادر والمراجع

- **المصحف الشريف برواية حفص عن عاصم.**
- أبجد العلوم، المؤلف: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (المتوفى: 1307هـ)، الناشر: دار ابن حزم، الطبعة الأولى 1423 هـ - 1002 م، عدد الأجزاء: 1.
- الإسلام عقيدة وشريعة لمحمود شلتوت، دار الشروق.
- السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، 1375هـ -1955 م، عدد الأجزاء: 1.
- السيرة وبناء الأمة، سلسلة صوتية للدكتور راغب السرجاني.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة 1407 هـ -1987 م، عدد الأجزاء: 6.
- المعاهدات في الإسلام لتوفيق علي وهبة.
- المغني لابن قدامة، المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: 620هـ)، الناشر: مكتبة القاهرة.
- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، المؤلف: علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي (المتوفى: 685هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الثانية، 1406هـ -1986م، عدد الأجزاء: 7.

- سنن ابن ماجه، المؤلف: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: 273هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية -فيصل عيسى البابي الحلبي، عدد الأجزاء: 2.
- صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، 1422هـ، عدد الأجزاء: 9.
- صحيح مسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، عدد الأجزاء: 5.
- عندما عاهد الرسول ﷺ لراغب السرجاني، الطبعة الأولى 2012، دار الكتب المصرية.
- لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414 هـ، عدد الأجزاء: 15.

فهرس الموضوعات

مقدمة 3
المبحث الأول: تعريف المعاهدات 5
المطلب الأول: المعاهدة لغة................................ 5
المطلب الثاني: المعاهدة اصطلاحا.............................. 5
المبحث الثاني: المعاهدة النبوية مع اليهود........................ 6
المطلب الأول: بنود المعاهدة................................ 6
المطلب الثاني: الفرق بين المعاهدة النبوية مع اليهود وبين معاهدات اليوم 7
المبحث الثالث: صلح الحديبية................................ 9
المطلب الأول: بنود صلح الحديبية.............................. 9
المطلب الثاني: مقارنة بين صلح الحديبية وبين معاهدات المسلمين اليوم ... 10
خاتمة 13
لائحة المصادر والمراجع 15
فهرس الموضوعات 17